قصّة صاحب النّقب

دروس وفوائد

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذه الورقات المختصرة هي عبارة عن قصّـة ذلـك الرجل الشجاع الذي اقتحم بنفسه ، نَقْبا صعبا ، كان في أحد الحصون الـتي حاصـرها المسلمون زمن الدولة الأمويّة ، وفتح باب الحصن للمسلمين ، فكان الفتح على المسـلمين بسبب فعله العظيم الذي خلّد التاريخ الإسلامي ذكره .

فذكرتُ القصّة من بعض مصادرها ، والفوائد المستنبطة منها ، لعلّ الله أن ينفع بها.

وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة وهـي الأصل أومن غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، وما لم اذكر مصـدره فهـو من استنباطي .

وقد اجتهدت –قدر استطاعتي– في الاستنباط ، واستخراج الفوائد ، فـإن أصـبت فهو من الله ، وهذا ما أرجو ، وإن أخطأت فمن نفسي ، والشيطان ، وأسـتغفر الله مـن ذلك .هذا والله أسـأل أن يجعـل هذا العمـل خالصـاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع بـه كاتبه ، وقارئه، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

قصة صاحب النقب

عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو عمرو الصّفّار قال: حاصر مسلمة حصنًا فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد. فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه اللّه عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلاّ جاء. فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألاّ تسوّدوا اسمه في صحيفة ، إلى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب. (١)

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ص ٧٣ . مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧/ ٢٧٣ .

من فوائد القصّة

١- أهمية الجهاد في حياة الأمّة الإسلامية .

٢- إن من خطة الحرب حصار العدو ؛ حتى يستسلم .

٣- إن الجهاد يكون تحت إمام من المسلمين .

٤- أهمية وجود قائد للجيش ، يأتمر الجنود بأمره ، ويسمعوا له ، ويطيعوا .

٥- ذلك الحصن استعصى أمره على المسلمين ، فكان أن ندب القائد / مسلمة بن عبدالملك رحمه الله ، إلى دخول نقب فيه .

٦- أهمية الإخلاص لله سبحانه في العمل .

٧- اجعل بينك وبين الله خبيئة عمل ؛ لا يطّلع عليه إلاّ هو سبحانه ، فمثل هذه الأعمال التي لا يراها الناس لها مقام عظيم عند الله .

٨- هذا الرجل آثر ماعند الله ، على ماعند الناس ، يقول سبحانه : " وللآخرة خير وأبقى " ، ترك الشهرة ، وأعرض عن المديح ، وحبّ الظهور ؛ رغبة فيما عند الله .

٩- رغم إلحاح الأمير ، والقائد مسلمة بن عبدالملك على الرجل بالظهور ، وأن يعّرف باسمه ؛ إلاّ أنّ الرجل أبى .

١٠- إنّه لشرف وفخر كبير أن يُنادى باسم الشخص ؛ أمام الملأ ، وأن يُهتم به ليُكرّم ، وينال الجائزة ، ويُهَنّأ من الكل ، ومع كل هذه الإغراءات ، إلاّ أنّ الرجل آثر التواري ، وعدم البروز .

١١- القصّة عظيمة ، وعظيمها هو صاحبها الذي دارت القصّة حوله ، مما يدلّ على أن الأمّة لا تزال بخير وعافية ، مادام فيها أمثال هؤلاء العظماء إلى يوم القيامة .

١٢- جهالة اسم الرجل لا تضرّ ، فالأهمّ من ذلك هو عمله الذي قدّمه .

١٣- الجرأة والإقدام عند هذا الرجل .

١٤- هذا الرجل ليس كبيرا ، وليس عظيما في الجيش ، بل هو أحد أفراده لذا قال : " فجاء رجل من عرض الجيش " .

١٥- هذا الرجل جاء من تلقاء نفسه ، وباختياره فلم يأمره أحد .

١٦- الأصل في التغيير أنه يأتي من الداخل . فنفسك إن لم تسعَ بتغييرها من الداخل ؛ فلن تتغير ، والتحفيز قد يأتي من الخارج . لكنه قد يأتي بدوافع داخلية ، فيكون سببا في أن يقدم الشخص أشياء على خلاف العادة .

١٧- قائد الجيش يندبُ الجنود للقيام ببعض الأعمال ، ولو كانت خطِرة ، ولا يقوم بذلك بنفسه ، خشية عليه ، لأنّ قيادة الجيش ليس أمرا هيّنا .

١٨- لم يأت الرجل إلى القائد مباشرة ، بل تريّث في الأمر ، وتنكّر في طريقة الدخول ، واحتاط أشد الاحتياط ، حتى لا يُعرف .

١٩- الاستئذان في الدخول أدب إسلامي رفيع .

٢٠- طلب الرجل من القائد مسلمة قبل أن يكشف حقيقته ؛ ثلاثة أمور هي :

أ- ألاّ يكتب اسمه في صحيفة إلى الخليفة .

ب- وأن لا يأمروا له بشيء من عطاء ، أومالٍ ونحو ذلك .

ج- وألاّ يسألوه عن أصله ، أو عائلته ، أو من أي حي ، أو قبيلة .

٢١- هذا الرجل قطع على الجميع كل الطرق لمعرفة من هو .

٢٢- هذا الرجل قطع كل العلائق عن الخلائق للاتصال بالخالق. (٢)

٢٣- كان بودّ القائد مسلمة أن يكشف عن شخصية الرجل ، لكن لم يتمكن من ذلك ، فوجد أن الحلّ الأمثل لمّا رأى صدق الرجل وإخلاصه ، أن يدعوا الله في صلاته ، أن يحشره مع صاحب النقب .

٢٤- فضل الدعاء ، وأهميّته .

٢٥- الدعاء ، يقرّب البعيد ، ويحقق الأماني ، ويخفف معاناة النفس .

٢٦- كان صاحب النقب إيجابيا من الطراز الأوّل .

٢٧- لا يكون الفتح إلاّ من الله عزّ وجلّ .

٢٨- شجاعة القائد المسلم ، مسلمة بن عبدالملك رحمه الله .

---

(٢) لطائف المعارف لابن رجب ص ٢٨٩ بتصرف .

٢٩- إنّه لا يُعرفُ الرجال إلاّ في المواقف .

٣٠- أحيانا يهابُ الجنود الإقدام ، لشدّة الموقف وصعوبته .

٣١- بعض الأمور تحتاج إلى رُويّة ، وتفكير لحلّها .

٣٢- قد يكون رجل بألف .

٣٣- الاستئذان أدبٌ إسلامي رفيع .

٣٤- صاحب النقب كانت لديه تربية إسلامية صحيحة ، لذا فالتربية مهمة للنّاشئة .فالرجل مثلا عنده من ذلك : أ- روح المبادرة . ب- الشجاعة والمغامرة . ج- مراقبة الله . د- الإخلاص . هـ البعد عن الظهور ، والعُجْب بالنفس . و- أدب الاستئذان .ز- الزهد في الدنيا . ح- طلب الأجر والثواب من الله .

٣٥- مبالغة ، وزيادة ، واحتياط شديد في التنكّر حتى لا يُعرف .وفي هذا رسالة قويّة لكل من أحبّ الشهرة ، وسعى لها بكل وسيلة .

٣٦- كان شعار المسلمين في معاركهم ، إمّا النصر والفتح ، أو الشهادة في سبيل الله ، فحقّق الله لهم في هذه المعركة الفتح .

٣٧- من مقوّمات النصر ، السمع والطاعة للقائد في غير معصية لله .

٣٨- لم يكن في ذلك الوقت مكبّرات للصوت حين المناداة ، فكان على القائد أو غيره أن ينادي بأعلى صوته حتى يُسْمِع الناس .

٣٩- كان للقائد آذنا كالبواب لا يسمح لأحد بالدخول إلا بإذن .

٤٠- لولا إلحاح القائد وإصراره على مجيء الرجل ، لم يأت البتّة .

٤١- أعمال البرّ ، والقُرُبات الخفيّة ؛ يحتاج لها العبد يوم القيامة .

٤٢- كان ذلك الفتح في عهد الدولة الأمويّة .